Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فون كوخ ، ذلك الآخر المغاير

« لو رفعت صوتي منذ البداية عوض أن أخرس عبر جميع لغات العالم كلّها . . . » . هذا الكلام أطلقه « فون كوخ » . وهو كلام لا يدلّنا في شيء عن هويّة صاحبه أكان فنّاناً تشكيليّاً أو صرخة دوت في الفضاء أو عزلة شقّت طريقها بين الجموع . أمّا بقية كلام « فون كوخ » فهو ما يلي : « عندما رأى العشّاق عروس العالم الجميل تمرّ رسموها وأغرقوها تحليلاً وتأويلاً . ولم تكن عروس العالم تلك إلاّ هو . » . و « فون كوخ » يقصد من كلامه هذا فنّاناً تشكيليّاً آخر . ولا يهمّ أن يكون ذلك الفنّان الذي يقصده « فون كوخ » هو في عداد الأموات أو في عداد المجانين أو في عداد المغتربين .

وأمّا المقصود فنعني به « دي مونتيسلي » De Monticelli لقد كان يرسم « الجنوب » مفرطاً في استعمال اللّون الأصفر واللّون البرتقالي ولون الكبريت . وكان هذا الفنّان الذي قضى نحبه هو الفنّان الذي ما فتىء فون كوخ يتمثّل ملامحه باعثاً إيّاه ، وفي كل مرّة ، من لحده أو من رماده . حدث ذلك خصوصاً عندما كان « فون كوخ » مقيماً بـ « أرلاس » حوالي 1887 . لنصغ مرّة ثانية إلى « فون كوخ » وهو بصدد الحديث عن هذا الفنّان : « إنّنا نسعى إلى إقناع النّاس الخيّرين بأن « مونتيسلي » لم يمت خائر القوى وهو ملقى على طاولة مقهى « كانوبيار » . إنّنا نسعى إلى إقناعهم بعكس ذلك ، بأنّه ما زال حيّاً يرزق » . أجل ! مات « مونتيسلي » ما في ذلك شكّ اليوم . ولكننا نستطيع أن نستعيد رسم مسيرته الذاتية . ونستطيع كذلك أن نوقد من جديد جذوة ذاته المنطفئة . ولو كان ذلك في شكل مقتطفات وذلك من خلال بعض المقاطع المتفرقّة التي جاءت في رسائل « فون كوخ » . « ففون كوخ » منذ أن أقام « بأرلاس » أعلن أنّه سيسعى دوماً ، ما عاش ، إلى مواصلة ذلك العمل المضني الذي شرع فيه ذلك